

رغبت إليّ الجامعة اللبنانية في أن أعطي درساً في الفلسفة الإسلامية لطلاب السنة الرابعة ((فرع الفلسفة)) فلبيت، واضطرتني هذا الدرس إلى البحث والتنقيب في كتب الفلسفة وعلم الكلام للسنة والشيعة، وقد لاحظت أمراً غريباً - وأنا أنتبع المصادر - دفعني من حيث أريد أولاً أريد إلى كتابة هذا الفصل في كتابي ((فصول في الفلسفة الإسلامية(1))، لاحظت أن كثيراً من الذين كتبوا - من غير الإمامية - في الفرق ومذاهبها يتعبرون الإمامية أتباعاً للمعتزلة في تفكيرهم، فمن هؤلاء من يقول - إذا حرر مسألة خلاقية -: قال الأشاعرة: كذا. وقال المعتزلة وأتباعهم الإمامية: كذا. وبعضهم يقتصر على رأي الأشاعرة والمعتزلة، ويهمل الإمامية. وكأنه يدرج الإمامية في عداد المعتزلة، كما تدرج الماتريدية في عداد الأشاعرة(2).

وقد اطلع على هذا القول بعض الغربيين فأمن به جهلاً وتقليداً، ورد أصول التفكير الإمامي إلى المعتزلة، قال آدم متزفي كتاب الحضارة الإسلامية: ((إن الشيعة ورثة المعتزلة)). ورأى بعض الشباب المثقف كلام المستشرقين فأخذه على علانه، كما هو المألوف والمعروف من ثقافة هذا الجيل الصاعد... قال الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في مجلة الغد عدد 2 سنة 1953: ((إن الشيعة التقطوا كثيراً من أفكار المعتزلة)). هكذا أخذ المستشرقون عن بعض القدامى